عنوان المحاضرة الرابع عشر -

أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية" الاسبانية ،الانجليزية":

عنوان المحاضرة الرابع عشر – أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية" الاسبانية ،الإنجليزية ":

عنوان المحاضرة الرابع عشر – أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية:" الاسبانية ،الإنجليزية

إن الحديث عن أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية ، وذكر مظاهر هذا التأثر ،وتجلياته في النصوص السردية الغربية هو مجال بحث الدراسات الأكاديمية المعاصرة ،ومازال هذا الميدان مفتوح للبحث المستمر، وفيمايلي

سنركز على أهم مظاهر تأثر الأدب الإسباني بالسرد العربي القديم ،الذي استلهم منه الكثير من السمات الفنية:

1–أثر فن المقامات العربية في الأدب الاسباني :

أثرت المقامات العربية في الآداب الأوروبية الحديثة، وخصوصًا في الأدب الاسباني الحديث «وانتقل النموذج الإنساني في المقامات الحريرية إلى الآداب الأوروبية ،فتأثر فيها بظهور نموذج أدبي آخر تطورت به القصة الأوروبية بعد أن وقفت على فن المقامات العربية عن طريق الأدب العربي في أسبانيا ،وأثر النموذج الإنساني في مقامات الحريري في الأدب العربي ثم في الأدب الأسباني بعامة ،ثم تعاون هذا التأثير كله في ظهور"قصص الشطار "الذي تعد قصصه حياة"لازايو دي تورمس"نموذجًا له،وسمي نوع هذه القصة بقصص "البيكارسكا"أي "الشطار"نسبة إلى بطلها ،الذي كان يُطلق عليه بالإسبانية "البيكارو el Picaro، وهو نموذج شخصية شيطانية هزلية،والمتأمل لشخصية بطل" لازايو دي تورمس"يجد أنها لاتخرج في سماتها الجوهريةعن النموذج الإنساني الذي اختاره"الحريري"بطلًا لمقاماته ماأكد على التأثير العربي العميق في الآداب الأوروبية ».

وفي سياق متصل ضرب د.غنيمي هلال الكثير من الأمثلة لاقتباس "قصص الشطار" من أدب المقامات،ووضح الصلات القوية بين أقاصيص "كريتيان تروا"و"سان بدروا"و "جارثي اورودونيس"وبين أقاصيص الفروسية والحب العذري والمقامات العربية،وعقد مقارنة هامة بين المقامات البشرية وبين قصة لانسيلو "الفارس ذو العربة" إذ يلاقي البطل محنًا متوالية في تخليص حبيبته من السجن».

ومنه فقد أثرت المقامة العربية في الأدب الإسباني، فنسج الأدباء الأسبان على منوالها الكثير من القصص في محاولة منهم لمحاكاة المقامات العربية في اختيار نموذج بطل المقامة،وتصوير بعض قصص المغامرات الشطار،وهنا نؤكد على ريّادة فن المقامات العربية في طريقة السرد ،التي حفظت خصوصية السرد العربي القديم .

2– أثر قصص كليلة ودمنة في الأدب الاسباني:

أثرت قصص كليلة ودمنة لابن المقفع في الأدب الإسباني، فقد سافرت النسخة العربية لكليلة ودمنة المقفعية إلى الأندلس، فيما سافر من كنوز اللغة العربية،وقد ثبت أنها تُرجمت إلى اللغة القشتالية سنة 1261،فإذا ظهرت بعد ذلك قصص (الفابليو) وانتشرت في فرنسا انتشارًا جعلها على كل لسان،وكان بينها ما أُخذ نصًّا من كليلة ودمنة ،فذلك دليل على تأثير الكتاب في الأدب الفرنسي...وكان كتاب كليلة ودمنة من كتب الشرق الذي حمل إلى الغرب دفء الفكر وحرارة العقل ليضيف إلى أدب القرون الوسطى مكنوزًا جديدًا يؤثر في فنهم الأدبي ،وأول ترجمة في أوروبا ترجمة في أوروبا ظهرت لكتاب كليلة ودمنة باللغة اللاتينية عام 1270م نقلها عن العبرية جان دي كابو Jean de Capoue ».

وزاد اهتمام الأدباء في العالم بقصص الحيوان في العصر الحديث ،فاهتم الشاعر الاسباني "خوان رامون خمينيث" بالحيوان في كتابه "أنا وحماري" ونال شهرة واسعة وعُثر فيه على اقتباسات من كليلة ودمنة لابن المقفع في هذا العمل الأدبي .

عنوان المحاضرة الرابع عشر – أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية" الاسبانية ،الإنجليزية ":

3–أثر سرد القصة الفلسفية العربية في الأدب الاسباني" :

تعد قصة "حي بن يقظان" من أبرز القصص الفلسفية المكتملة فنيًا ، وقد تأثر بأسلوبها السردي العديد من الأدباء ،وسنحاول التوقف عند محاولات بعضهم في احتذاء نموذج قصة "حي بن يقظان" :

أ–أثر قصة حي بن يقظان في الأدب الغربي :

وفي سياق الحديث عن تأثر الأدباء بقصة "حي بن يقظان" يرى بعض النقاد أصلًا لقصة ألفها الكاتب الإسباني بلناسار جراتيان (1601-1658)،وهي في ثلاثة أجزاء يتشابه الجزء الأول منها تشابهًا قريبًا بقصة حي بن يقظان،وعُرفت قصة حي بن يقظان في أوروبا ،ولقيت حظًّا رائعًا لدى فلاسفتها ، وخصوصًا في القرن الثامن عشر ثم التاسع عشر».

أثر حي بن يقظان لابن طفيل في روبنسون كروزو لدانييل ديفو الانجليزي،ولو أردنا تحديد جمالية هذه القصة لوجدناها تكاد تنحصر في الجزء الأول (ولادة حي ولقاءه بأبسال) ويبدو لنا مشهد اللقاء مشهدًا سرديًا جميلًا بكل المقاييس الفنية،وبداية القصة وخاتمتها تمتعت بقدرات جمالية في السرد ،لكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة "حي"الروحية إثر وفاة أمه».

ظهر تأثير في قصة"حي بن يقظان" لابن طفيل في قصة "روبنسون كروزو" لدانييل ديفو،ولوتأملانا الفضاء المكاني لكلا الروايتين لاحظنا تشابهًا كبيرًا ،فنجد لقاء في تركيز القصتين على شخصية رئيسية واحدة تعيش ظروفًا متشابهة(العزلة)وتبدو الشخصية الثانوية في كلا القصتين شخصية طارئة(آبسال—جمعة) تأتي إلى جزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية،ونلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية، فابن طفيل يريد أن يدلل على وجود الله باستخدام العقل والحدس،وأما دانييل ديفو فكانت غايته تربوية».

تجلى التأثر الواضح لدانييل ديفو بقصة حي بن يقظان لابن طفيل، فالموضوع المتناول هو واحد تمثل في شخصية البطل المغامر (حي بن يقظان"/"روبنسون كروزو")،وهذا لايعني عدم وجود اختلافات بينهما .

ب–الاختلاف بين قصتي حي بن يقظان و وروبنسون كروزو:

إنه مع وجود توافق بين القصتين حي بن يقظان و "وروبنسون كروزو"،وهذا لايمنعنا من ذكر بين الاختلافات بينهما، فتمثل الاختلاف بين حي بن يقظان لابن طفيل وروبنسون كروزو لدانييل ديفو في أن شخصية "حي"هي شخصية فيلسوف يتأمل الكون ليفهم أسراره في حين وجدنا"روبنسون" إنسانًا عاديًا أقصى طموحاته تلبية حاجاته المادية ونلاحظ أن القصة لدى ابن طفيل مازالت بدائية ،رغم الإنجازات السردية التي لحظناها إذ لانجد غالبًا سردًا متصلًا أو بشخصية معينة خاصة...فقد امتلأت القصة بالاستطرادات الفلسفية فأصبحت أشبه ماتكون بمقال فلسفي في أغلب الأحيان في حين بدا السرد القصصي في" روبنسون كروزو"متقنًا يكاد يخلو من الترهل الاستطراد فالحدث مشوق يتطور عبر حبكة متماسكة ».

ظهر الاختلاف في أن حي بن يقظان فيلسوف باحث عن الحكمة،وهنا اتضح بأن ابن طفيل امتلك رؤية فلسفية عميقة على خلاف دانييل ديفو فهو أديب له نظرة فنية فقط، ،فصوَّر روبنسون كروزو كشخص عادي طموحاته محدودة ، وعلى حد قول روبنسون كروزو : «وقد آليت على نفسي أن أقضي البقية الباقية من عُمري في دعةٍ واطمئنان وأمن وسلام».

وهنا ظهر روبنسون كروزو في صورة بطل عادي يميل للراحة على عكس حي بن يقظان،فهو بطل مغامر واستطاع ابن طفيل« أن يصوغ حكاية حي بن يقظان التي هي بعينها حكاية الوعي الإنساني عبر مسيرة تطوره وارتقائه ».

عنوان المحاضرة الرابع عشر – أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية" الاسبانية ،الإنجليزية ":

ومنه لخص البطل حي بن يقظان حكاية الإنسان في مسار تطوره في الحياة والكون وطموحه في الارتقاء والتعلم «ونلاحظ وجود مؤثر إسلامي آخر في قصة "روبنسون كروزو"وهو ألف ليلة وليلة ،إذ لابد أن ديفو قد اطلع على ترجمة (غالان)لألف ليلة وليلة يلاحظ المرء أن معاناة روبنسون تشبه معاناة السندباد البحري خاصة في بداية الرحلة البحرية ،حيث تحطمت السفينة، وبقي حيا دون سائر الركاب، فعاش في جزيرة نائية وحيدًا ».

تعد قصة "حي بن يقظان"من أهم القصص الفلسفية ، التي ظهرت في العصور الوسطى في نظر الكثير من النقاد ، فهي رائدة في مجال إعمال الفكر والجدل الفلسفي .

وفي الأخير نصل إلى تأكيد حقائق، ومنها مانراه في أن حضور التأثير والتأثر المتبادل في فنون السرد العربية والإسلامية من جهة والآداب الغربية والعالمية من جهة أخرى أكد على وجود جسور تواصل بين الخطابات السردية العربية والغربية على مر العصور الأدبية.